

خارج الفقہ

۲۶-۹-۱۴۰۱ فقه اکبر ۲

۴۱

(مکتب و نظام قضایی اسلام)

دراسات الاستاذ:

مهدي الهادي الطهراني

إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ

الأنعام : ٥٧ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** يَقِصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ

يوسف : ٤٠ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** أَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

يوسف : ٦٧ وَ قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَ مَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ **إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ
يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ

وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ
أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ
 فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
 وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ
 الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» لما فرغ من الندب إلى عبادة الله وحده لا شريك له و بث الإحسان بين طبقات المؤمنين و ذم من يعيب هذا الطريق المحمود أو صد عنه صدودا عاد إلى أصل المقصود بلسان آخر يتفرع عليه فروع آخر، بها يستحكم أساس المجتمع الإسلامي و هو التحضيض و الترغيب في أخذهم بالائتلاف و الاتفاق، و رفع كل تنازع واقع بالرد إلى الله و رسوله.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

• و لا ينبغي أن يرتاب في أن قوله: أَطِيعُوا

اللَّهِ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ، **جملةٌ سيقت تمهيدا**

و توطئة للأمر برد الأمر إلى الله و رسوله

عند ظهور التنازع، و إن كان مضمون

الجملة أساس جميع الشرائع و الأحكام

الإلهية.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- فَإِنَّ ذَلِكَ ظَاهِرٌ تَفْرِيعٌ قَوْلُهُ: فَإِنَّ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ، ثُمَّ الْعُودُ بَعْدَ الْعُودِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ إِيحَاءَهُمْ وَ قَوْلِهِ: وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ إِيحَاءَهُمْ، وَ قَوْلِهِ: فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ إِيحَاءَهُمْ.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و لا ينبغي أن يرتاب في أن الله سبحانه لا يريد بإطاعته إلا إطاعته في ما يوحيه إلينا من طريق رسوله من المعارف و الشرائع،

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

• و أما رسوله ص فله حيثتان:

• **إحداهما:** حيثية التشريع بما يوحيه إليه ربه من غير كتاب، و هو ما يبينه للناس من تفاصيل ما يشتمل على إجماله الكتاب و ما يتعلق و يرتبط بها كما قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ: - النحل ٤٤،

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

• و **الثانية**: ما يراه من صواب الرأي و هو الذى

يرتبط **بولايته الحكومه و القضاء** قال تعالى:

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ: - النساء

١٠٥، و هذا هو الرأى الذى كان يحكم به

على **ظواهر قوانين القضاء** بين الناس، و هو

الذى كان ص **يحكم به فى عزائم الأمور**،

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ
 لِنُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ
 لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- قوله تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» **ظاهر الحكم بين الناس هو القضاء بينهم في مخاصماتهم و منازعاتهم مما يرجع إلى الأمور القضائية و رفع الاختلافات بالحكم،**

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• **و قد جعل الله تعالى الحكم بين الناس غاية**

لإنزال الكتاب فينطبق مضمون الآية على ما

يتضمنه قوله تعالى «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ

مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا

اختلفوا فيه»: (الآية) (البقرة: ٢١٣) و قد مر

تفصيل القول فيه.

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- فهذه الآية (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) (إلخ) في خصوصٍ مَرَّةٍ مَرَّةً مُرَدِّهَا نَظِيرَةٌ تَلِكِ الْآيَةَ (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)، في عمومها، و تزيد عليها في أنها تدل على **جعل حق الحكم لرسول الله ص و الحجية لرايه و نظره**

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• فَإِنَّ الْحُكْمَ وَهُوَ الْقَطْعُ فِي الْقَضَاءِ وَفصل
الخصومة لا ينفك عن أعمال نظر من القاضي
الحاكم و إظهار عقيدة منه مضافا إلى ما عنده من
العلم بالأحكام العامة و القوانين الكلية في موارد
الخصومة فإن العلم بكليات الأحكام و حقوق
الناس أمر، و القطع و الحكم بانطباق مورد النزاع
على بعضها دون بعض أمر آخر.

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• فالمراد بالإِراءة في قوله «لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» إيجاد الرأى و تعريفَ الحكم لا تعليم الأحكام و الشرائع كما احتمله بعضهم.

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• و مضمون الآية على ما يعطيه السياق أن
الله أنزل إليك الكتاب و علمك أحكامه
و شرائعه و حكمه لتضيف إليها ما أوجد
لك من الرأي و عرفك من الحكم
فتحكم بين الناس، و ترفع بذلك
اختلافاتهم.

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- قوله تعالى: «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» عطف على ما تقدمه من الجملة الخبرية لكونها في معنى الإنشاء كأنه قيل: فاحكم بينهم و لا تكن للخائنين خصيما.
- والخصيم هو الذي يدافع عن الدعوى و ما فى حكمها، و فيه نهيه ص عن أن يكون خصيما للخائنين على من يطالبهم بحقوقه فيدافع عن الخائنين و يبطل حقوق المحقين من أهل الدعوى.
- و ربما أمكن أن يستفاد من عطف قوله «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ» على ما تقدمه
- الميزان فى تفسير القرآن، ج ٥، ص: ٧٢
- و هو أمره ص أمرا مطلقا بالحكم أن المراد بالخيانة مطلق التعدى على حقوق الغير ممن لا ينبغى منه ذلك لا خصوص الخيانة للودائع و إن كان ربما عطف الخاص على العام لعناية ما بشأنه لكن المورد كالحالى عن العناية، و سيجىء لهذا الكلام تنمة.
- قوله تعالى: [سورة النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنْ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦)
- - آيتان -

المعنى:

- خاطب الله بهذه الآية نبيه (ص)، فقال: «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» يَا مُحَمَّد (ص) «الكتاب» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» يعنى بما أعلمك الله في كتابه «و لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» نهاه أن يكون لمن خان مسلماً أو معاهداً في نفسه أو ماله خصيماً يخاصم عنه، و يدفع من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه.
- ثم أمره بأن يستغفر الله في مخاصمته عن الخائن مال غيره «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا»

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

(١) معانى القرآن ١: ٢٨٦ و اللسان (رجا).

(٢) ديوانه ١٤٣، و معانى القرآن ١: ٢٨٦، و الصحاح للجوهري (رجا) و يروى (عوامل).

التبيان فى تفسير القرآن، ج ٣، ص: ٣١٦

يصفح عن ذنوب عباده و يسترها عليهم، و يترك مؤاخذتهم بها. و عندنا أن الخطاب و إن توجه إلى النبي (ص) من حيث خاصم من رآه على ظاهر الايمان و العدالة، و كان فى الباطن بخلافه فلم يكن ذلك معصية، لأنه (ع) منزه عن القبائح فإنما ذكر ذلك على وجه التأديب له فى أن لا يبادر فيخاصم و يدفع عن خصم إلا بعد أن يبين الحق منه. و المراد بذلك أمته عليه السلام. على أنا لا نعلم أن ما روى فى هذا الباب وقع من النبي (ص)، لأن طريقه الأحاديث، و ليس توجه النهي إليه بدال على انه وقع منه ذلك المنهى قال «لئن أشركت ليحبطن عملك» «١» و لا يدل ذلك على وقوع الشرك منه. و قال قوم من المفسرين: انه لم يخاصم عن الخصم و إنما هم به فعاتبه الله على ذلك.

(١) سورة الزمر: آية ٦٥.

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- القصة و النزول:
- و الآية نزلت في بني أبيرق كانوا ثلاثة أخوة بشر و بشير و مبشر و كان بشر يكنى أبا طعمة فنقبوا على عم قتادة بن النعمان و أخذوا له طعاماً و سيفاً، و درعاً فشكى ذلك إلى ابن أخيه قتادة و كان قتادة بدرية فجاء إلى رسول الله (ص) فذكر له القصة،

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• و كان معهم في الدار رجل يقال له لبيد بن سهل و كان فقيراً شجاعاً مؤمناً، فقال بنو أبيرق لقتاده هذا عمل لبيد بن سهل، فبلغ لبيداً ذلك، فأخذ سيفه و خرج إليهم. و قال يا بني أبيرق أ ترموني بالسرقة و أنتم أولى به مني، و أنتم المنافقون تهجون رسول الله و تنسبون إلي قريش لتبينن ذلك أو لأضعن سيفي فيكم فداروه. و قالوا: ارجع رحمك الله فأنت برىء من ذلك.

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- و بلغهم أن قتادة مضى إلى رسول الله (ص) فمشوا إلى رجل من رهطهم يقال له أسير بن عروة، و كان منطيقاً لسناً فأخبروه، فمشى أسير إلى رسول الله (ص) في جماعة، فقال: يا رسول الله (ص) إن قتادة بن النعمان رمى جماعة من أهل الحسب منا بالسرقة و اتهمهم بما ليس فيهم

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- و جاء قتادة إلى النبي (ص) فأقبل عليه النبي (ص)، و قال عمدت إلى أهل بيت حسب و نسب رميتهم بالسرق و عاتبه فاغتم قتادة و رجع إلى عمه، فقال: ليتني مت و لم أكن كلمت رسول الله (ص) فقد قال لي ما كرهت، فقال عمه الله المستعان،

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• فنزلت هذه الآية «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ
إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا» «١» يعني لبيد بن ربيعة
حين رماه بنو بريق بالسرقة «فقد احتمل بهتاناً
وإثماً مبيناً» إلى قوله: «وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكَ عَظِيمًا» «٢»

• (١، ٢) سورة النساء: آية ١١١.

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

• فبلغ ذلك بنى أبيرق فخرجوا من المدينة، و
 لحقوا بمكة و **ارتدوا** فلم يزالوا بمكة مع
 قريش فلما فتح مكة هربوا إلى الشام فانزل
 الله فيهم «و من يشاقق الرسول من بعد ما
 تبين له الهدى» «٣» إلى آخر الآيات.

• (٣) سورة النساء: آية ١١٤.

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- و لما مضى إلى مكة نزل على سلامة بنت سعد ابن شهيد امرأة من الأنصار كانت ناحكاً في بني عبد الدار بمكة فهجاها حسان، فقال:
- و قد أنزلته بنت سعد و أصبحت ينازعها جلد استها و تنازعه
- ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم و فينا نبى عنده الوحي واضحة «٤»
- (٤) ديوانه: ٢٧١.

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- فحملت رحله على رأسها و ألقته بالأبطح و قالت. ما كنت تأتيني بخير أهديت إلي شعر حسان. و نزل فيه قوله: «و من يشاقق الرسول» «٥» هذا قول مجاهد، و قتادة بن النعمان، و ابن زيد، و عكرمة، إلا أن قتادة، و ابن زيد، و عكرمة قالوا: إن بني أبيرق طرحوا ذلك على يهودى يقال له زيد بن السمين، فجاء اليهودى إلى رسول الله (ص) و بمثله قال ابن عباس.
- (٥) سورة النساء: آية ١١٤.

لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- و قال ابن جريج: هذه الآيات كلها نزلت في أبي طعمة بن أبي أبيرق إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَ يُغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) «٦» و قال: رمى بالدرع في دار أبي مليك ابن عبد الله الخزرجي فلما نزل القرآن لحق بقريش،
- (٦) سورة النساء: آية ٤٧، ١١٥.

لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ

- و قال الضحاك: نزلت في رجل من الأنصار استودع درعاً فجدد صاحبها فخونه رجال من أصحاب النبي (ص) فغضب له قوم فأتوا نبي الله، فقالوا: أ خونوا صاحباً، و هو أمين مسلم؟ فعذره النبي (ص) و كذب عنه. و هو يرى أنه برىء مكذوب عليه فأنزل الله فيه الآيات.
- و اختار الطبري هذا الوجه و قال: لأن الخيانة إنما تكون في الوديعه فأمأ السارق فلا يسمى خائناً فحملة عليه أولى و كل ذلك جائز.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و كان الله سبحانه أمره في اتخاذ الرأي بالمشاورة فقال: «و شاورهم في الأمر فإذا عزمته فتوكل على الله: آل عمران ١٥٩، فأشركهم به في المشاورة و وحده في العزم.

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- إذا عرفت هذا علمت أن **إِطَاعَةَ الرَّسُولِ** معنى و **إِطَاعَةَ اللَّهِ** سبحانه معنى آخر و إن كان **إِطَاعَةَ الرَّسُولِ** **إِطَاعَةَ اللَّهِ** **بِالْحَقِيقَةِ** لأن الله هو المشرع لوجوب إطاعته كما قال: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» **فَعَلَى النَّاسِ أَنْ يَطِيعُوا الرَّسُولَ فِيمَا بَيَّنَّهُ بِالْوَحْيِ، وَ فِيمَا يَرَاهُ مِنَ الرَّأْيِ.**

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

- و هذا المعنى (و الله أعلم) هو الموجب **لتكرار الأمر** بالطاعة في قوله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ، لا ما ذكره المفسرون: أن **التكرار للتأكيد** فإن القصد لو كان متعلقا بالتأكيد كان ترك التكرار كما لو قيل: و أطيعوا الله و الرسول أدل عليه و أقرب منه فإنه كان يفيد أن إطاعة الرسول عين إطاعة الله سبحانه و أن الإطاعتين واحدة، و **ما كل تكرار يفيد التأكيد**.